المَسكونيَّة في الرسالة العامَّة "إلى نُفوسِ المائِتين" (Mortalium Animos)

للأب/ لويس مونتِسْ، الكلمة المتجسِّد

إن موقفَ الكنيسة من المَسكونية كثيرًا ما عانَى سوءَ التَّفسير، لدرجة أن نَسمع في أوساطٍ عديدة عن طَفْرَةٍ حادَت بالتعليم المَجمعي الرَّسمي (للمجمع الفاتيكاني الثاني) عن التعليم الرسمي السابق.

من المؤكد أن فَحْوَى نُصوص التعليم الرسمي قد تَغَيَّرت بشكلٍ مَلحوظ بين: "إلى نُفوس المائِتين" (Mortalium Animos) وبين "لِيَكونوا واحدًا" (Ut Unum Sint). ولكنْ، كما يقول المجمع الفاتيكاني نفسُه في البَيان حول الحرية الدينية (Dignitatis Humanae):

إن المجمع الفاتيكاني، إذْ يَزِنُ باهتمامٍ شديد رغبات النفوس ويُبَيِّن إلى أيّ حدٍ تَتَّفق والحقيقة والعدالة، يَستطْلع تقليدَ الكنيسة المقدس وتعليمَها فلا يستخرج منهما الجديد إلا وفْقَ القديم.

السِّياقُ التاريخي لِلرسالة العامة "إلى نُفوس المائِتين" [1]

بدأت الحركة المسكونية الحديثة بطريقة رسمية سنة ١٩١٠ في مؤتمر إيدِنْبُرج.

في عام ١٩٢٥، نَظَّمت هَيئة "الحياة والعمل"، التي تأسست سنة ١٩١٤ في السويد، مؤتمرًا في سْتُكْهولْمْ مُعطِيَةً بذلك دَفعةً للعمل المشترَك لكل مسيحيّي العالم، وذلك بحضور ٦١٠ مَندوبين من ٣٣ بلدًا يُمَثِّلون جميع الديانات، ولكنَّ الكنيسة الكاثوليكية لم تَكن حاضرة. كان البابا قد دُعِيَ وَوَعد بأن يُساهِم بِصلاته بكل أمانة، ولكنه مَيَّز أنَّ اشتراكَه في هذا المؤتمر لم يكن مناسبًا. كانوا قد دَعُوه مُجاملةً، ولكنْ أفهموه أنه يجب أن يتخلَّى عن كل ما يعتقد هو أنه أساسي وضروري بينما يعتبرونه هم شيئًا عارضًا. كان الهدفُ العثورَ على بابا يَتخلَّى مثلاً عن حقيقة "الأَوَّلِيَّة". وهذا يساعدنا على فَهم رَدِّ فعل البابا "بِيوس الحادي عشر" في الرسالة العامة "إلى نفوس المائتين". فهو لا يستطيع أن يَتنازل لأجل قبول وَحدة من هذا النوع. إن ذلك يَحُطُّ من شأن الإيمان. وهو ينتقد هذه الحركة بالطريقة التي وُلِدَت بها، أيْ مع ذلك المفهومِ عَن الكنيسة الغيرِ مقبولٍ بتاتًا.

حدث نفسُ الشيء في مؤتمر لوزارا سنة ١٩٢٧، لحركة "إيمان ونظام" ذي الإيحاءِ الإنجيلي والتحَرُّري.

التعليم الكنسي لهذه الحركة هو المشتمِل على نظرية *الأَقْنُوم الثلاثة* (الكاثوليك والأنجْليكان والأُرْثوذوكس) التي هي في انشقاق فيما بينَها. كما لو كان المسيح نفسه مُنقسمًا. لا يُمَثِّل أيُّ فرعٍ من هؤلاء الكنيسةَ الواحِدةَ للمسيح. فيَعتبر كلَّ الكنائس غيرَ كاملة؛ هذا يعني أن هناك بحثًا عن الوَحدة كما لو لم تكن أيَّةُ كنيسة منها كنيسةً واحدة. هكذا تَصير كلُّ الكنائسِ غيرَ كاملة في أعضائِها وفي ذاتِها، كما أنها تُوجَد في حالة انشقاق. لا توجد كنيسة المسيح الواحِدة بل هناك ثلاثةُ أفرُعٍ منفصلةٍ ومنقسمة.

ولكنْ كنيسةُ المسيح هي واحدة وكاملة في ذاتها، لأن رأسها هو المسيح ونَفْسَها هو الروح القدس، وهي غيرُ كاملة في أعضائها.

إنَّ الكنيسةَ تعلِّمنا أن الكنيسة الجامعة تُواصِل وجودَها في الكنيسة الكاثوليكية. فَوَعْدُ المسيح لا يُمكن أن يكون خادعًا. إنَّ كنيسته واحدةٌ وَستَظلُّ دائمًا واحدة حتى نهاية الأزمنة. ولذلك فإنه من الممكن البدء في الكلام عن المسكونية فقط بعد توضيح مفهوم الكنيسة.

لم يكن ممكنًا في تِلك الأجواء أن تشترِكَ الكنيسة، لأنها كانت ستزرع بذلك بُذورَ الشكِّ عند المؤمنين حول مفهوم الكنيسة.

١- المعلومات التاريخية مأخوذة من المُؤَلَّف "ثلاثُ مراحل لتطور الحوار المسكوني في تعليم الكنيسة الرسمي"، للأب إينزو كوينكا، رهبنة الكلمة المتجسد. بعض المقاطع منقولة حرفيًا.

الرسالة العامة: "إلى نفوس المائتين" للبابا بيوس الحادي عشر

نُقدِّم هنا مقاطع عديدة من هذه الرسالة العامة حتى لا يكون بعضها خارجًا عن سِياقِهِ، ثم نُضيف في النهاية بعضَ التوضيحات.

الاِشتياق العام إلى السلام والأُخُوَّة

يَتَّسِم زمنُنا الحالي برغبة عارمة تَمَكَّنت من قلوب البشر أجمعين لأجل تقوية روابطِ الأُخوَّة وتطبيقِها لصالح الخير العام للمجتمع البشري. إنها رغبة رُبَّما قد تَفوق كلَّ مثيلاتها في العصور السابقة، وهي تَعتبر أن روابط الأُخوَّة هذه تُوَحِّد – بفضل أصلِنا وطبيعتِنا المشتَرَكة – فيما بيننا وتَرْبِطُنا بعضُنا ببعض.

الأُخوَّة في الدين. المؤتمرات المسكونية

يجتهد البعض للتوصُّل إلى شيءٍ مُشابِهٍ لذلك فيما يتعلق بترتيب الشريعة الجديدة التي أرساها رَبُّنا يسوع المسيح. وفي اقتناعهم بأن البشر الذين ليس لديهم أيُّ شعورٍ دينيٍّ يمَثِّلون فِئَةً نادرة جدًّا، يبدو أنهم قد وجدوا في ذلك رجاءَ ألاَّ يكونَ من الصعب على الشعوب - برغم اختلافها بالنسبة للدين - أن تتفق بطريقة أخوية على الاعتراف ببعض العقائد لكي تكون أساسًا مشتركًا للحياة الروحية. ومن أجل ذلك الغَرَض فهُمْ أنفسُهم عادةً ما يُنَظِّمون مؤتمرات واجتماعات ومجالسَ يَحْضَرُها عددٌ غيرُ قليل من المشتركِين، ويَدعونهم للنقاش بطريقة يَختلط فيها الجميع من غيرِ المؤمنين من مختلَفِ الأنواع مع المسيحيين وكذلك مع الذين أنكروا المسيح بطريقةٍ بائسة، أو حتى مع الذين يُنكرون ألُوهيةَ شخصِه ورسالتَه بإصرارٍ وتَعَنُّت.

لا يُمكن للكاثوليك أن يَقبلوا ذلك

إن تلك المحاولات لا يمكن أن يقبلَها الكاثوليك بأيِّ حال من الأحوال، وذلك لِكَوْنِها تَستند على الفكرة الخاطئة لِمن يعتقدون أن كُلَّ الديانات هي - مع اختلافٍ بسيط - صالحةٌ وممدوحة لأنها كلَّها تُثَبِّت وتَقْصُد - حتى لو كان ذلك بطُرق مختلفة - الإحساسَ الفِطري والطَّبيعي الذي يَحملُنا إلى الله فنعترفَ بسلطانِه ونَدين له بالطاعة. إنَّ مَنْ يَتَبَنَّون هذه الفكرة لا يُخطِئون ويَضِلُّون فحسب، ولكنهم يرفضون الديانة الحقيقية فيُدَنِّسون مفهومَها الأساسي، وينتهي بهم المَطاف رُوَيْدًا رويدًا إلى الإلحاد وإلى المَذهب الطبيعي.

خَطأٌ آخَر. وَحدة المسيحيين. حُجَجٌ زائفة

يَنخدع البعض بسُهولة أكبر تحت مَظاهرَ زائفة عندما يتعلَّق الأمر بِتحبيذ الوَحدة بين المسيحيين. وعادة ما تتكرَّر هذه الكلمات: أليس مِن العدل أو حتى مِن الواجب أن يمتنع مَن يَدعون بِاسم المسيح عن التفرقة المتبادَلة، وأن يتَّحدوا بالأحرى يومًا ما بروابطِ المحبة المتبادَلة؟ وَمَن ذا الذي يُمكنه أن يَدَّعي أنه يحبُّ يسوع المسيح إذا لم يعمل بكل قِواه على تحقيق رَغبةِ ذاك الذي طلب في صلاتِهِ للآب أن يكون تلاميذُه واحدًا؟ ألم يرغب المسيح نفسُه أن يتميَّزَ تلاميذُه، أيْ أن يتميَّزوا عن الآخرين من خلال هذه العلامة وهذه السِّمَة ألا وهي المحبةُ المتبادَلة؟ ويُضيفون: ليت كلَّ المسيحيين يصيرون شيئًا واحدًا! لو فعلوا ذلك لأَمكنَهم أن يصنعوا الكثير لِصَدِّ خطرِ الشَّرِّ الذي يَمتدُّ ويتفاقم مهدِّدًا بإضعافِ الإنجيل.

هناك خطأٌ شديدُ الخُطورة يختبئ وراء هذه الحُجَجِ

هذه الحُجَجُ المتشابهة فيما بينها تَنشُر وتُروِّج لِمَن يُطلَق عليهم اسمُ الـ"Pancristianos"، وعددُهم ليس بالقليل، وقد صاروا مجموعاتٍ وشَكَّلوا لِجانًا واسعة وممتَدَّة، بعضُها برئاسة رجال كاثوليك، على الرغم من اختلافها فيما يختص بالإيمان.

ديانةٌ واحدة فقط يُمْكنها أن تكون حقيقية: تلك التي أَعلن اللهُ عنها

إن الله الذي هو خالق جميع الأشياء قد خلقنا لكي نعرفَه ونخدُمَه. ولذلك يَحِقُّ له تمامًا أن نخدُمَه. لقد كان يمكنه بالتأكيد أن يفرِض قانونًا واحدًا لِحُكم البشر ألا وهو قانون الطبيعة، وهو القانون الذي حفره الله في قلب كل إنسان عند خَلْقِهِ، كما أنه كان يستطيع أن يَضْبِطَ بعد ذلك تطوُّرَ هذا القانونِ نفسِه بعنايته العاديَّة وحدَها. ولكنه بدلاً من ذلك فَضَّل أن يُعطي هو بنفسه الوصايا التي يَتَعَيَّن علينا أن نُطيعَها؛ وهو على مَرِّ الأزمنة، أيْ منذ أصل نشأة الجنس البشري حتى مجيء وبشارة يسوع المسيح، قد عَلَّم بنفسِه البشرَ الواجباتِ التي تَفرِضها عليهم طبيعتُهم العقلانية تُجاهَ خالقِهم. إن الله الذي تَكَلَّم قديمًا لآبائِنا في مناسبات مختلفة وبطُرق متعددة بواسطة الأنبياء، قد كلَّمنا أخيرًا بابنه يسوع المسيح. يَتَّضِح جَلِيًّا من ذلك أنه لا يمكن لأيَّة ديانة أن تكون حقيقية إلا تلك التي ترتكز على الكلمة المعلَنة من الله...

إن الديانة الوحيدة المعلَنة هي ديانةُ الكنيسة الكاثوليكية فهي جماعةٌ كاملةٌ خارجيةٌ ومَنظورة.

لقد أسَّس ربُّنا كنيسَتَه كجماعة كاملة، خارجية وظاهرة من حيث طبيعتها ذاتها. إذْ أنَّ مفهومَ الكنيسة الغير منظورة فقط ليس متوافقًا مع الإنجيل. ... وحتى تُواصِل من الآن فَصاعدًا تحقيقَ عملِ خلاصِ الجنسِ البشريّ تحت قيادةِ رأسٍ واحد (متى١٦/١٨)، وبتعاليمَ يَتِمُّ تَلَقِّيها شَفاهيَةً (مر١٦/١٥)، وبواسطة مَنْحِ الأسرار المقدسة (يو٣/٥) التي هي نبعُ النعمة الإلهية. ... تُرَى هل يُمكن أن تفتقرَ الكنيسة إلى القيمة أو الفعَّالية بينما يُعَضِّدُها دائمًا وجودُ المسيحِ نفسه، هو الذي وعدها جَهارًا: "ها أَنَذا معكم كلَّ الأيام حتى نهاية العالم؟" (متى٢٨/٢٠). ولذلك فإن كنيسةَ المسيح لا يجب أن تَظلَّ قائمةً بالضَّرورة اليومَ وغدًا ودائمًا فقط، ولكنَّها يجب أن تظلَّ أيضًا على ما كانت عليه بالضَّبط في أيام الرُّسل، هذا إذا لم نكن نريد أن نقول - وما أَبْعَدَنا عن ذلك - أن يسوع المسيح ربَّنا لم يُتمِّم غَرَضَه، أو أنه قد إنخدع عندما قال أنَّ أبوابَ الجَحيم لن تَقْوَى عليها (متى١٦/١٨).

هناك خطأٌ رئيسي للحركة المسكونية، ألا وهو الوَحدةُ المَزعومة للكنائس المسيحية.

إنَّ صُنَّاع هذا المشروع لا يَبرحون يُردِّدون عددَ مَرَّاتٍ لانهائيٍّ كلمات المسيح التالية: ليكونوا واحدًا. ستكون هناك رعيَّةٌ واحدة وراعٍ واحد (يو١٧/٢١). ولكنهم يفهمون هذه الكلمات بطريقة تجعلهم يعتقدون أنها تَعني فقط رغبةً وتَطلُّعًا ليسوع المسيح لم يَتحقَّقا بعد. وهم يعتقدون إذًا أنَّ وحدة الإيمان والرئاسة، التي هي سِمةٌ مميّزة لكنيسة المسيح الوحيدة والحقيقية، هي شيء لم يتحقَّق تقريبًا أبدًا إلى الآن أو أنه لم يوجَد بتاتًا: من الممكن طبعًا الرَّغبةُ فيه، وقد يحدث يومًا ما بواسطة تَوافُقِ اندفاعِ الإرادات؛ ولكنْ حتى ذلك الحين يجب اعتبارُ ذلك فقط مُجَرَّدَ شَيءٍ مِثاليّ.

الكنيسة الكاثوليكية المُؤتَمَنة على وديعة الحق بطريقة مَعصومة

وكذلك: عندما أَرسل ابنُ الله الوحيدُ رُسُلَهِ ليُعَلِّموا جميع الأُمم فإنه قد فَرَضَ على جميع البشر أن يَثقوا فيما يُعلِّمُهم إيَّاه هؤلاءِ الشُّهودُ الذين سَبق الله واختارَهم (أع١٠/٤١): وقد أصدر جَزاءً لمخالفة هذا الفرض بالطريقة التالية: "من آمن واعتمد خَلُصَ ومَن لم يُؤمنْ يُدَنْ" (مر١٦/١٦).

لا يُمكن للكنيسة الكاثوليكية أن تَشترك في أمثالِ هذه الوَحدات

بما أنَّ الأمرَ كذلك، يتَّضح إذًا جَليًّا أنه لا الكُرسيُّ الرَّسولي يمكنه بأيّ حال من الأحوال أن يكونَ طَرَفًا في مثلِ تلك المَجالس (المؤتمرات)، ولا الكاثوليك يمكنهم أن يُحَبِّذوا أو يشتركوا في محاولات شبيهة بذلك: فإذا فعلوا فإنهم بذلك يعطون الشَّرعية (السُّلطة) لديانة مسيحية مُزيَّفة هي بعيدةٌ تمامًا عن كنيسة المسيح الوحيدة الحقيقية.

بدون إيمان لا توجد محبة حقيقية

كيف يمكن للمحبة أن تعملَ لصالحِ الإساءة للإيمان؟ مِن المُؤكَّد أنه لا أحدَ يَجهل أنَّ القديس يوحنا - الذي هو رسولُ المحبة ذاتُه والذي نكتشف من خلال إنجيله خفايا قلبِ يسوع الأقدس، وهو الذي كان من عادَتِه أنْ يُوَصِّل باستمرار لَدَى تلاميذه تعليم الوصية الجديدة: أحِبُّوا بعضُكم بعضًا - أنه هو نفسُه يُحرِّم تمامًا أيَّ تَعامُل أو اِتِّصال مع هؤلاء الذين لا يعترفون بطريقة كاملة وناصعة بعقيدة المسيح يسوع: إذا جاءكم أحدُهم مخالِفًا هذه العقيدةَ فلا تَقبلوه في بيتِكم ولا تُسلِّموا حتَّى عليه.

وَحدة غيرُ مَعقولة

كيف يكون ممكنًا تَصَوُّرُ اتِّحادٍ مسيحي يكون مُتاحًا لكلِّ طَرَفٍ من أعضائه - حتى فيما يَتعلَّق بمسائلِ الإيمان - أنْ يحتفظَ بحُكمِهِ وبشُعوره الخاصِّ حتى ولو تَعارَضَ ذلك مع حُكمِ وشُعورِ الآخَرين؟

الطريقةُ الوحيدة لِتوحيدِ جميع المسيحيين

بالعَمَل على رُجوع المُنشقِّين إلى كنيسة المسيح الوحيدة والحقيقية التي ابتعدوا للأسف عنها يومًا ما؛ إلى تلك الكنيسة الوحيدة والحقيقية التي يَعرفها الجميع بالتأكيد، والتي يجب أن تَظلَّ دائمًا كما هي بِحَسَب رَغبة مؤسِّسِها. لقد أسَّسها هو نفسُه من أجل خلاصِ الجميع. إنَّ عروسَ المسيح هذه لم تتدنَّسْ أبدًا على مَرِّ العُصور ولا يُمكن أن تتدنَّس أبدًا كما قال القديس كِبْريانوس بِصَوابٍ: لا يُمكن أن تَزْني عَروسُ المسيح: إنها غيرُ قابلةٍ للفساد وأمينة.

إنَّ بِيوس الحادي عشر يلاحظ أنه يُوجد لَدَى البشر رغبةٌ في الاتِّحاد الأخوي. وهناك شَوق متصاعد لَدَى البشرية نحو الوَحدة، وذلك بمواجهة حالةِ العالم الحالي. وذلك ليس فقط على المستوَى السياسي والاجتماعي بل على المستوى الكنسي أيضًا: روابطُ الأُخوَّة فيما يتعلق بالديانة. ولكن هذه الرغبة في الوَحدة كانت تَظهر من خلال فَوْضَى محاولةِ الاتِّحاد بدون الإلتزام بالحقيقة.

وهذا ما سيُعلِّمُه لاحقًا البابا يوحنا بولس الثاني في "ليكونوا واحدًا" (Ut Unum Sint):*"ليس المقصودُ هو تعديلُ وديعةِ الإيمان، أو تغييرُ معنى العقائد، أو حَذفُ الكلمات الأساسية منها أو توفيقُ الحقيقة بحَسَبِ ذَوْق عَصْرٍ ما أو حذفُ بعضِ بُنود قانون الإيمان استنادًا إلى الحُجَّة الزائفة القائلة بأنها لم تَعُد مَفهومةً في يومِنا هذا. إنَّ الوَحدة التي يَرغبها الله يمكنها أن تتحقَّق فقط بالإلتصاق المشترَك بالمضمون المتكامل للإيمان المُعلَن. فيما يتعلَّق بمَسألة الإيمان يكون أيُّ حلٍّ وسطٍ (تَنازُلٍ) بمَثابة تَناقُضٍ مع الله الذي هو الحقيقة"* [٢].

هذا يعني أن بِيوس الحادي عشر يُعارِض مَخاطر التَّوجيه الخاطئ لتلك الرغبة. وهو بهذه الطريقة يَرسِم الحُدود التي تَسمح للتعليم الرَّسمي اللاَّحق للكنيسة أن يأخذ دَفعةً في اتِّجاهِ ما لَدَيه من صلاح. إذْ أنَّ إدانةَ تلك التَّجاوُزات حَدَّدت قواعدَ العمل المستقبليّ للكنيسة.

إنَّ عَدَمَ معرفة أَوْجُهِ الخِلاف يَدفع الإنسان إلى اللاَّمبالاة وإلى النِّسبية، وهذا يُؤَدِّي في النهاية إلى الإلحاد. إذ بِسُقوط مفهومِ الحقيقة يسقط أيضًا مفهومُ الله. ويؤكد يوحنا بولس الثاني في نفس العدد الذي ذكرناه مِن "ليكونوا واحدًا":*"فيما يَتعلَّق بِمسألة الإيمان يكون أيُّ تنازلٍ (حلٍّ وَسَطٍ) بِمثابةِ تَناقضٍ مع الله الذي هو الحقيقة. ففي داخل جسد المسيح الذي هو "الطريق والحق والحياة" (يو١٤/٦)، مَن ذا الذي يُمكنه اعتبارُ التَّصالح الذي حُصِل عليه على حساب الحقيقة شيئًا مَشروعًا؟ إن البيانَ المَجْمَعي (Declaración conciliar) حول الحُرية الدينية "الكرامة البشرية" (Dignitatis humanae) يَنسُب البحثَ عن الحقيقة إلى الكرامة البشرية، و" فوق كلِّ شيء فيما يتعلق بالله وبكنيسته" وبالإلتصاق بفرائضها. وبالتالي فأن "نَكون معًا" بينما تُخانُ الحقيقة يَكونُ*

٢- رقم ١٨

بمَثابة تَعارُضٍ مع طبيعة الله الذي يقدّم لنا الشَّركة معه، وبمَثابة تَعارض مع متطلّبات الحقيقة المطبوعة في عُمق أعماقِ كلّ قلبٍ بشري".

بعضُ الذين يَتْبعون تعبيرات بِيوس الحادي عشر حَرفيًّا يُدينون أيَّ نوعٍ من المسكونية. ولكنَّ البابا، حتَّى وإنْ كان يؤكِّد أن مجال المسكونية هو الأكثرُ تعرُّضًا لوُقوع الأخطاء، فإنه مع ذلك لا ينادي بعَدم البحث عن وَحدة المسيحيين.

وهناك آخَرون على العكس يتغاضون عن الحقيقة في بحثِهم عن الاتِّحاد. إن هؤلاء هم مَن قَصَدهم بيوس الحادي عشر في رسالته العامَّة: يتعلَّلون بالمحبة وبالوَحدة المرغوبة من المسيح كي يُحفِّزوا حُدوثَ وَحدة زائفة. ولكن المحبة لا يُمكنُها أبدًا أن تسيرَ ضِدَّ الإيمان.

ليس من الصَّواب الاستعانة بنداء المسيح للوَحدة بِمعزلٍ عن النُّصوص الكتابية الأخرى. ليس مسموحًا لنا أن نتصرَّف مثل تلك الشِّيع التي تَسوق بعض الشَّواهد الكتابية وتُطَوِّعها من أجل مصلحة أَيْدِيولوجيَّتِها الخاصة وذلك ليُعارضوا بها مُجمَل وديعة الوَحْي الإلهي.

لقد أراد الله أن يُعلِن عن ذاته: كان يُمكنه أن يُعطي للإنسان وَسيلةً أخرى للاتِّحاد به؛ ولكنَّ حكمَته اختارت أن تعلِّمنا هذه الأسرار التي لو أُعطِيَتْ لنا بِوسيلة أخرى لَكان مِن المُمكن أن تظلَّ بَعيدًا عن مُتناوَلِنا تمامًا.

ومنذ أن أعلن الله عَن الطريقة التي يريد أن يُعبَد بها تصير هناك إذًا طريقةٌ واحدة حقيقية، ونكون مُلزَمين بِطاعته.

ولكن كيف يؤمنون إنْ لم يُعلَن لهم؟ إن الكنيسة عليها وَاجبُ التَّبشير بالإنجيل بِطريقة مُتكاملة، وهي مُهمَّة أساسيَّة. إنَّ واجبَ الرسالة هو شيءٌ دائم.

وبِفضل رسالة البابا هذه وبِفضل سَبْقِ تَوَقُّعِهِ وحِيطته استطاعت الكنيسة الكاثوليكية الدخولَ في الحركة الحديثة للمسكونية. لقد كان الله يقود ويُصحِّح الأخطاء لكي يكون من الممكن لاحقًّا العملُ بطريقة فعَّالة.

إذا فُهِم هذا الواقع لن يُنظَر حِينئذٍ إلى الكنيسة على أنها تفرِض حقيقةً ما بل على أنها مُرَوِّجةٌ للخبر السار.

هكذا يُعلِّمنا يوحنا بولس الثاني بطريقة رائعة: *"تتعلم الكنيسة من تَقَلُّبات تاريخِها المتعدِّدة، وذلك يدعوها إلى التحرُّر من كل سَنَدٍ بشريّ صِرْفٍ لكي تَعيش بعمقِ قانون التَّطويبات الإنجيلي. كما أنها تَعي أن "الحقيقة لا تُفرَض إلا بقوةِ الحقيقة نفسِها التي تَتغلغل في النفوس بعُذوبة وحَسْمٍ في آنٍ واحد" ، ولذلك فهي لا تَطلب إلا حرّيةَ إعلان الإنجيل. وبالفعل نَجد أنها تمارِس سلطتَها في خدمة الحقيقة والمحبة"* [٣].

٣- "ليكونوا واحدًا " رقم ٣.